الباب الثاني

منهج سيد قطب في تفسير القرآن

الفصل الأول : روافد الظلال .

الفصل الثانـي : طريقة سيد قطب الفنية في التفسير .

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول
روافد الظلال

أمدت «الظلال» روافد مختلفة تآلفت فيما بينها على تأليفه في الصورة الرضية الحية الأخاذة ، كما تآلفت على تأليفه في هذه الصورة الوضيئة إشراقة الإيمان ، ووضاءة الفكر وجمال الأسلوب وتوهج التعبير ، الأمر الذي كفل له الحظوة والرضا فتقبله الناس تقبلا حسنا ، بل أقبلوا عليه في شوق غامر كما لم يقبلوا على تفسير غيره ، واحتل بذلك رف كل مكتبة ، ومكانة عزيزة في كل قلب ومكانا عليا في كل نفس .

ولا أذيع سرا إذا قلت : إن تفسير سيد قطب ~ يمثل مدرسة في التفسير متميزة بخصائصها عن مدارس التفسير المختلفة ، وما ذلك عندي ، والله أعلم ، إلا لكون أن سيدا ~ تعالى تملك قبل أن يقدم على تفسير كتاب الله تعالى قدرة خارقة في مجال التذوق الفني ، وطاقة خصبة في ميدان النقد الأدبي ، وملكة فذة في حقل الكتابة الأدبية وغير الأدبية من أنماط الكتابة التي ألمحنا إليها « في القسم الأول من هذه الدراسة» مما لم يتوفر لكثير من المفسرين في القديم والحديث بدون ريب ، ومما جعله على رأس قادة الفكر والأدب في نهضتنا الثقافية المعاصرة ، ومن أمراء البيان العربي الحديث ، ومما جعله أيضا يرتاد آفاق الإعجاز البياني في القرآن الكريم يتملى جواؤه ، ويتناوله بطريقته الخاصة في المعالجة كما سنبينه فيما سيأتي من حديث إن شاء الله تعالى .

وفيما يلي الروافد التي استسقى منها «الظلال» :

١ ـ القرآن الكريم :

إن تفسير القرآن بالقرآن ـ وهو من التفسير بالمأثور ـ من أجل ما يمكن للمفسر

أن ينهض به في تفسيره ، لكونه يضطلع بشرح ما جاء موجزا في القرآن بما جاء مسهبا في موضع آخر منه؛ وذلك كقصة آدم وإبليس وردت في مواضع مختصرة ، ومسهبة في مواضع أخرى ، وكقصة موسى عليه السلام وفرعون وقعت موجزة في مواضع ، ومفصلة في مواضع أخرى [١] .

ومن هذا الباب حمل المطلق على المقيد ، والعام على الخاص ، والمجمل على المبين وغير ذلك مما تولت كتب الأصول دراسته وبحثه [٢] .

ففي سورة «الحجر» يتحدث الله تبارك وتعالى عن قصة آدم عليه السلام ، ويتصدى لها سيد قطب ~ بالشرح والبيان في ضوء ما ورد عن قصته في سورة «البقرة» وسورة «الأعراف» مفسرا القرآن بالقرآن فيقول « ثم نجيء إلى قصة البشرية الكبرى : قصة الفطرة الأولى ، قصة الهدى والضلال وعواملهما الأصيلة ، قصة آدم مم خلق؟ وماذا صاحب خلقه وتلاه؟

ولقد صادفنا هذه القصة معروضة مرتين من قبل في سورة «البقرة» وفي سورة «الأعراف» ، ولكن مساقها في كل مرة كان لأداء غرض خاص في معرض خاص ، في جو خاص ، ومن ثم اختلفت الحلقات التي تعرض منها في كل موضع ، واختلفت طريقة الأداء ، واختلفت الظلال ، واختلف الإيقاع مع المشاركة في بعض المقدمات والتعقيبات بقدر الاشتراك في الأهداف .

تشابهت مقدمات القصة في السور الثلاثة :

ففي سورة «البقرة» سبقها في السياق ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ .

---

(١) هذه الظاهرة في القصص القرآني هو في الحقيقة من الإعجاز الفني في القصة القرآنية ، ويمكن الرجوع في هذا إلى كتاب «التصوير الفني في القرآن» للشهيد ، ص ١١٩ .

(٢) راجع على سبيل المثال الشوكاني «محمد» إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول .

وفي سورة «الأعراف» سيقها ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ ﴾.

وهنا سبقها : ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الحجر] .

ولكن السياق الذي وردت فيه القصة في كل سورة كان يختلف في الوجهة والعرض ، في «البقرة» كانت نقطة التركيز في السياق هي استخلاف آدم في الأرض التي خلق الله للناس ما فيها جميعا ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ ﴾ [البقرة:٣٠] ، وثم عرض من القصة أسرار هذا الاستخلاف الذي عجبت له الملائكة لما خفي عليهم سره : ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ [البقرة:٣١ـ ٣٣] ، ثم عرض حكاية سجود الملائكة وإباء إبليس واستكباره وسكنى آدم وزوجته الجنة ، وإزلال الشيطان لهما عنها وإخراجهما منها ثم الهبوط إلى الأرض للخلافة فيها بعد تزويده بهذه التجربة القاسية واستغفاره وتوبة الله عليه ، وعقب على القصة بدعوة بني إسرائيل لذكر نعمة الله عليهم والوفاء بعهده معهم ، فكان هذا متصلا باستخلاف أبيهم الأكبر في الأرض وعهده معه والتجربة القاسية لأبي البشر .

وفي «الأعراف» كانت نقطة التركيز في السياق هي الرحلة الطويلة من الجنة وإليها ، وإبراز عداوة إبليس للإنسان منذ بدء الرحلة إلى نهايتها حتى يعود الناس مرة أخرى إلى ساحة العرض الأولى ، ففريق منهم يعودون إلى الجنة التي أخرج الشيطان أبوهم منها ؛ لأنهم عادوه وخالفوه وفريق ينتكس إلى النار ، لأنه اتبع

خطوات الشيطان العدو اللدود ومن ثم عرض السياق حكاية سجود الملائكة وإباء إبليس واستكباره وطلبه من الله أن ينظره إلى يوم البعث ليغوي أبناء آدم الذي من أجله طرد ثم إسكان آدم وزوجته الجنة يأكلان من ثمرها كله إلا شجرة واحدة هي رمز المحظور الذي تبتلي به الإرادة والطاعة ، ثم وسوسة الشيطان لهما بتوسع وتفصيل وأكلهما من الشجرة وظهور سوآتهما لهما ، وعقاب الله لآدم وزوجته ، وإهباطهم إلى الأرض جميعا للعمل في أرض المعركة الكبرى : ﴿ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴾ [الأعراف:٢٤، ٢٥] ، ثم تابع السياق الرحلة كلها حتى يعود الجميع كرة أخرى ، وعرفهم في الساحة الكبرى مع التفصيل والحوار ، ثم انتهى فريق إلى الجنة وفريق إلى النار : ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [الأعراف:٥٠] ، وأسدل الستار [١] .

إن سيدا لا يجتزئ في تفسير القرآن بالقرآن ـ كما رأينا سابقا ـ بل يضيف إلى ذلك تعليلات عن ورود قصة آدم عليه السلام في كل سورة من هذه السور بألوانها المختلفة ، مع الإشارة إلى اختلافات في الظلال والإيقاع بين سورة وأخرى ، مما يؤلف الإعجاز البياني في القرآن الكريم .

ومن باب تفسير القرآن بالقرآن الاستعانة بالقراءات القرآنية للتوصل إلى مفهوم معين للآية الكريمة ، ونقع على مثل هذا بين الحين والآخر عند سيد ~ ، وذلك في تفسيره لقوله من سورة «الأعراف» : ﴿وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴾ [الأعراف:٢٠] ، يقول متحدثا عن القراءتين وموازنا في الوقت نفسه ومستنبطا ما توحي به القراءتان : «وفي قراءة «ملكين» بكسر اللام ،

(١) المجلد ٥ ، ص ١٩٩ ، وما بعده .

وهذه القراءة يعضدها النص الآخر في سورة «طه» : ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ [طه:١٢٠] .

وعلى هذه القراءة يكون الإغراء بالملك الخالد والعمر الخالد وهما أقوى شهوتين في الإنسان بحيث يمكن أن يقال : إن الشهوة الجنسية ذاتها إن هي إلا وسيلة لتحقيق شهوة الخلود بالامتداد في النسل جيلا بعد جيل ، وعلى قراءة «ملكين» بفتح اللام يكون الإغراء بالخلاص من قيود الجسد كالملائكة مع الخلود .. ولكن قراءة الأولى هي : وإن تكن هي المشهورة ــ أكثر اتفاقا مع النص القرآني الآخر ، ومع اتجاه الكيد الشيطاني وفق شهوات الإنسان الأصلية »[1] .

وبجانب ذلك فإن سيدا لم يفته ، وهو في معرض تفسير كتاب الله تعالى ، أن يستشهد بالآيات القرآنية الكريمة غير الآيات التي هي محط عنايته ، وموضع دراسته ، معضدا ما هو بصدد التدليل عليه ، أو بصدد الإدلاء به من مفاهيم مستوحاة من النص القرآني الذي يتولى درسه .

ففي تفسيره لأم الكتاب ، وعند تعرضه لقوله تعالى : ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ يقول : «والربوبية المطلقة هي مفرق الطريق بين وضوح التوحيد الكامل الشامل ، والعبش الذي ينشأ من عدم وضوح هذه الحقيقة بصورتها القاطعة ، وكثيرا ما كان الناس يجمعون بين الاعتراف بالله بوصفه الموحد الواحد للكون ، والاعتقاد بتعدد الأرباب الذين يتحكمون في الحياة ، ولقد يبدو هذا غريبا مضحكا ، ولكنه كان وما يزال ، ولقد حكى لنا القرآن الكريم عن جماعة من المشركين كانوا يقولون عن أربابهم المتفرقة : ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣] ، كما قال عن جماعة من أهل الكتاب : ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾

(١) المجلد ٣ ، ص ٤٨٢ .

[التوبة:٣١] .... إلخ »[١] .

٢ـ الحديث :

استقى «الظلال» من نبع الحديث الشريف ، وذاك أمر بديهي ، لأنه المصدر الثاني للشريعة الإسلامية ، نهض ببيان ما أجمله كتاب الله تعالى ، وتفصيل ما أوجزه ، وتقييد ما جاء فيه مطلقا ، وتخصيص ما ورد فيه عاما ، لذلك كان من الضروري للمفسر ، أي مفسر ، أن يعوذ بهذا النبع الثرار ، ويغرف من روافده للتوصل إلى الدلالات التي يحفل بها النص القرآني المراد دراسته .

ذكر سيد ~ ، مجموعة ضخمة من الأحاديث الشريفة في مجلداته الثمانية من «الظلال» ، وساقها من مواضع مختلفة ، وقد اعتمد فيها على الكتب الصحاح وبعض المسانيد ، وتحامى في كل ذلك الوقوع في الإسرائيليات ، كما سنبين فيما سيأتي من حديث قريبا .

ففي سبب نزول قوله تعالى : ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ [مريم:٧٧ـ ٨٠] ، استشهد بما رواه البخاري (م عام ٢٥٦هـ ـ ٨٧٠م) ومسلم (م عام ٢٦١هـ ـ ٨٧٥م) في الموضوع فقال : « ورد في سبب نزول هذه الآيات ـ بإسناده ـ عن خباب بن الأرت قال : كنت رجلا فينا «حدادا» وكان لي على العاص بن وائل دين فأتيته أتقاضاه منه فقال ، لا والله لا أقضيك حتى تكفر بمحمد فقلت : لا والله لا أكفر بمحمد ﷺ حتى تموت ثم تبعث قال : فإني إذا مت ثم بعثت جئتني ولي ثم مال وولد ، فأعطيتك ، فأنزل الله : ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ »[٢] .

---

(١) المجلد ١ ، ص ١٧ .

(٢) المجلد ٥ ، ص ٤٥١ .

وفي تفسيره لقوله تعالى : ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور:٣١] ، ينطلق في دعم ام يحتاج إلى الدعم من السنة في قضية الحجاب الإسلامي ، فيعتضد بما رواه أبو داود في سننه فيقول : «فأما ما ظهر من الزينة في الوجه واليد ينفي جوز كشفه ؛ لأن الوجه واليدين مباح لقوله ﷺ لأسماء بنت بكر : «**يا أسماء ، إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها إلا هذا وأشار إلى وجهه وكفيه**» (١) .

هكذا يوالي «الظلال» الاستمداد من الرافد الحديثي عبر المجلدات الثمانية يروي الغلة من النبع الثرى ليتمكن من تجلية ما يحتاج إلى تجلية ، وكشف النقاب عن وجهه الصواب ، فيستشهد بما روته كتب السنة المختلفة .

٣ ـ كتب التفسير :

استمد «الظلال» من كتب التفسير السابقة ، وعلى رأسها تفسير ابن كثير ، وليس يعني هذا أنه كان يعرض آراء المفسرين قبله ، ويجتزئ بهذا العرض على نحو ما يفعله بعض المفسرين في القديم والحديث ، لا إنه ، في الحقيقة ، يستغني في كثير من الأحيان عن ذلك إلا في حالة ما إذا اضطر إلى تعضيد ما يذهب إليه أثناء طرحه قضية تفتقر إلى تعزيز ، لأجل ذلك ظهرت شخصيته بوضوح تام ، وجلاء كامل في تفسيره بصورة قل نظيرها عند المفسرين ، عبر التاريخ ، وما ذلك إلا لكون مفسرنا الشهيد كتب تفسيره بوحي من علمه الغزير ، وحسه الفني الرقيق ، ورفرفة إيمانه الندي ، ومعايشته النص القرآني معايشة روحية ارتاد فيها «الظلال» ، فاستشرف آفاقا وضيئة لم يستشرفها غيره استشرافه .

---

(١) الحديث مرسل ، كما قال عنه أبو داود ؛ ولكنه يتقوى بطرق أخرى ، انظر : تحقيق هذه المسألة عند المحدث النقادة محمد ناصر الدين الألباني في كتابه «حجاب المرأة المسلمة في الكتاب والسنة» ، ص٢٤ وما بعدها .

وفيما يأتي جرد لقائمة كتب التفسير التي أفاد من بعضها الشهيد ، أو استأنس ببعضها الآخر ، أو تصدى بالرد على ما أورده البعض الآخر منها من أفكار لم يستسغها ، أوهي في نظره تحتاج إلى إصلاح أو تعديل في جوانب منها :

١ـ «جامع البيان في تفسير القرآن» [١] للطبري (م عام ٣١٠هـ ـ ٩٢٣م) .

٢ـ «أحكام القرآن» [٢] للجصاص (م عام ـ ٣٧٠هـ ـ ٩٨٠م) .

٣ـ «الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل [٣] للزمخشري » (م عام ٥٣٨هـ ١١٤٤م) .

٤ـ «أحكام القرآن» [٤] لابن العربي (م عام ٥٤٣هـ ـ ١١٤٨م) .

٥ـ «الجامع لأحكام القرآن» [٥] للقرطبي (م عام ٦٧١هـ ـ ١٢٧٣م) .

٦ـ «تفسير القرآن العظيم» [٦] لابن كثير (م عام ٧٧٤هـ ـ ١٣٧٣م) .

٧ـ «روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني» [٧] للآلوسي (م عام ١٢٧٠هـ ـ ١٨٥٤م) .

٨ ـ «تفسير المنار» [٨] لرشيد رضا .

٩ـ «التفسير الحديث» [٩] لمحمد عزة دروزة .

---

(١) انظر : مثلا المجلد ٢ ، ص ١٣١هـ .

(٢) انظر : مثلا المجلد ٣ ، ص ٨٢٣ .

(٣) انظر : مثلا المجلد٤ ، ص ٧١٢ هـ .

(٤) انظر : المجلد ٣ ، ص ٨٢٥ .

(٥) انظر : المجلد ٤ ، ص ٦٥ .

(٦) انظر : المجلد ٣ ، ص ٧٢٣ .

(٧) انظر : المجلد ٤ ، ص ٢٠٣ .

(٨) انظر : المجلد ٤ ، ص ٨٩ هـ .

(٩) انظر : المجلد ٤ ، ص ١٢١ .

وإن ما يتردد ذكره ، عبر المجلدات الثمانية لظلال/ من بين كتب التفسير بصورة لافتة تفسير ابن كثير ، وليس هناك عندي ـ والله أعلم ـ من شرح للأسباب التي حفزت سيدا إلى اعتماد تفسير ابن كثير المصدر الرئيس سوى أن هذا التفسير يتفرد عن غيره من كتب التفسير بسمات لا نكاد نجدها مجتمعة كلها عند غيره ، وتبرز في أن ابن كثير يحرص على تفسير القرآن الكريم بالمأثور ، إذا يفسر القرآن بالقرآن أو بالسنة المطهرة ، ثم يورد أقوال السلف ، ويتوج كل ذلك بنقد الأسانيد والمتون ، وينبه على الإسرائيليات وما جنته على أمة الإسلام ، فيبرز ابن كثير من خلال ذلك ثقافته بفنون الحديث وأحوال الرجال ، واطلاعه الواسع على أقوال أهل الملل والنحل ، ومهارته في الضبط والتحرير .

وفي رأيي أن سيدا أصاب الاختيار لكون تفسير ابن كثير يعد أجود كتب التفسير للمزايا المذكورة بجانب أنه خير معلم لطلاب الحديث ، ومن يريد منهم معرفة نقد الأسانيد ، وفرز الصحيح من السنة وغير الصحيح ، ومن يود التدريب على البحث والنظر في هذا المضمار .

وبالرغم من أن تفسير ابن كثير المصدر الأول للظلال لم يكن مفسرنا الشهيد ﷺ مجرد ناقل دون تمحيص وإمعان فيما بين يديه من نصوص ، بل إنه يتصدى ، بما عرف عنه من مهارة نقدية ، لمعارضة ابن كثير في الرأي ، وتوضيح وجه الصواب في القضية ، من ذلك أن ابن كثير أورد عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾ [الأنعام:٥٢] ، ما رواه ابن جرير من حديث أسباط فقال : قال : جاء الأقرع بن حابس التميمي ، ووعيينة بن حسن الفزاري فوجدا رسول الله ﷺ مع صهيب وبلال وعمار وخباب قاعدا في ناس من الضعفاء من

المؤمنين ، فلما رأوهم حول النبي ﷺ حقروهم في نفر من أصحابه فأتوه فخلوا به وقالوا : إنا نريد أن تجعل لنا منك مجلسا تعرف به العرب فضلنا ، فإن وفود العرب تأتيك نتستحيي أن ترانا العرب مع هذه الأعبد ، فإذا نحن جئناك فأقمهم عنا فإذا نحن فرغنا فاقعد معهم إن شئت قال : «**نعم**» ، قالوا : فاكتب لنا عليك كتابا ، قال : فدعا بصحيفة ، ودعا عليًّا ليكتب ، ونحن قعود فنزل جبريل فقال : ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ الآية ، فرمى رسول الله ﷺ بالصحيفة من يده ثم دعانا فأتيناه ، ورواه ابن جرير من حديث أسباط به [(١)] .

ويعقب بعد ذلك ابن كثير على هذا الحديث بقوله : «وهذا حديث غريب فإن هذه الآية مكية ، والأقرع بن حابس وعيينة أسلما بعد الهجرة بدهر » [(٢)] .

ويعقب سيد ~ تعالى على هذا التعقيب نفسه بالهامش بقوله : « ولم أجد لهذا التعقيب وجها ، فإن قولهما هذا إنما كان قبل إسلامهما قطعا ، فهما لا يقولان ما قالا وهما مسلمان ! ومن ثم فلا تعارض بين هذه الرواية وبين أن إسلامهما كان بعد الهجرة بدهر ، فهما أعرضا عن الإسلام يومها حيث لم يستجب لقولهما » [(٣)] .

ولا يجتزئ سيد ~ بمعارضة ابن كثير فقط ، بل إنه في بعض الأحيان قد يخالف الروايات المأثورة عند المفسرين ، وينفرد برأيه في الموضوع معززا ذلك بقاعدة أصولية تتمشى والمنطق ، وتتناغم والحس القرآني الذي قل من المفسرين من حيي ندواته واخضراره على نحو ما حييه مفسرنا الشهيد ، من ذلك قوله حين تعرض لتفسير قوله تعالى : ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾

---

(١) ج ٢ ، ص ١٢٤ ، ١٣٥ طبعة دار الفكر .

(٢) المصدر السابق نفسه ، ص ١٣٥ .

(٣) المجلد ٣ ، ص ٢٣٤ .

[الأعراف:٢٠٤] [١] ، ونحن لا نرى في أسباب النزول التي وردت ما يخصص الآية بالصلاة المكتوبة وغير المكتوبة ، ذلك أن العبرة بمفهوم النص لا بخصوص السبب ، والأقرب أن يكون ذلك عاما لا يخصصه شيء ، فالاستماع إلى هذا القرآن والنصات له ـ حيثما قرئ ـ هو الأليق بجلال هذا القول ، وبجلال قائله سبحانه ، وإذا قال الله أفلا يستمع الناس وينصتون؟ ثم رجاء الرحمة لهم : ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ .

وهكذا نجد شخصية سيد ~ عبر «الظلال» شخصية متماسكة في علمها ، وقوية في فكرها تفرض حضورها بجلاء تناسق ، انسياق القطيع ، وراء زحمة المنقول والأفكار تتصاغر وتتصاغر ، فتذوب في غمارها ، وتنمحي بسبب ذلك خصائصها ومميزاتها .

٤ ـ أمهات المصادر التاريخية :

أفاد سيد ~ أن أمهات المصادر التاريخية ، وفيما يلي ما تردد ذكره من هذه المصادر عبر مجلدات «الظلال» الثمانية :

١ ـ كتاب «الأصنام» [٢] للكلبي (م عام ٢٠٤هـ ـ ٨١٩م) .

٢ ـ «تاريخ الأمم والملوك» [٣] للطبري .

---

(١) كان من الممكن أن يؤيد سيد قطب رأيه أيضا بالآية الأخرى التي جاءت بجانب التي يتحدث عنها وهو قوله تعالى : ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [الأعراف:٢٠٥] ، فهذه تؤلف مع أختها السابقة وحدة موضوعية وترسم المناخ الذي يجب على المؤمن أن يتبعه في الذكر ، فهي تزيد بيانا في أن الذكر ينبغي ألَّا يكون بالضوضاء كما يفعل المبتدعون في المساجد للأسف مما هو مخالف للسنة قطعا ، مع ما لهذه الآية من علاقة إيقاعية بما سبقها من آيات ، وهذا يبرز لنا الإعجاز الرباني في ترتيب الآيات وترابطها ، ويبدو أن سيدا قد فاته هذا الملحظ ~ .

(٢) المجلد ٣ ، ص ٣٢٦ .

(٣) المجلد ٧ ، ص ٦٣٤ .

٣ـ «سيرة النبي» [١] لابن هشام (م عام ٢١٣هـ ـ ٨٢٨م) .

٤ـ «طبقات ابن سعد» [٢] (م عام ٢٣٠هـ ـ ٨١٦م) .

٥ـ «جوامع السير» [٣] لابن حزم « م عام ٤٥٦ هـ ـ ١٠٦٤م» .

٦ـ « طبقات الأمم» [٤] لصاعد الأندلسي (٤٦٢هـ ١٠٧٠م) .

٧ـ «تاريخ عمر بن الخطاب» [٥] لابن الجوزي (م عام ٥٩٧ ـ ١٢٠١م) .

٨ـ «البداية والنهاية» [٦] لابن كثير .

٩ـ «زاد المعاد» لابن القيم [٧] (م عام ٧٥١هـ ـ ١٣٥٠م) .

١٠ـ «إمتاع الأبصار» [٨] للمقريزي (م عام ٨٤٥هـ ـ ١٤٤١م) .

١١ـ «بلوغ الرب في معركة أصول العرب» [٩] للآلوسي .

٥ـ المراجع الحديثة :

تطالعنا عبر «الظلال» شتى الكتب في شتى الفنون ، مما يدل على اهتمامات «سيد» ~ الفكرية الكثيرة في جميع المجالات ، ففي المجال الإسلامي والأدبي يعتمد «سيد» مؤلفاته الآتية :

---

(١) المجلد ٧ ، ص ٤٧٧ .

(٢) نفسه ، ص ٦٣٤ .

(٣) المجلد ٣ ، ص ٧٦٩ هـ .

(٤) المجلد ٢، ص ١٣٣ .

(٥) المجلد ٨ ، ص ٦٦٠ .

(٦) المجلد ٣ ، ص ٧٦٩ هـ .

(٧) المجلد ٢ ، ص ٥٣ هـ .

(٨) المجلد ٦ ، ص ٥٤٨ .

(٩) المجلد ٢ ، ص ١٣٢ هـ .

١- التصوير الفني في القرآن [١] .

٢- مشاهد القيامة في القرآن [٢] .

٣- السلام العالمي والإسلام [٣] .

٤- العدالة الاجتماعية في الإسلام [٤] .

٥- نحو مجتمع إسلامي [٥] .

٦- الإسلام ومشكلات الحضارة [٦] .

٧- خصائص التصور الإسلامي (ج١ ،٢) [٧] .

٨- هذا الدين [٨] .

٩- المستقبل لهذا الدين [٩] .

١٠- معالم في الطريق [١٠] .

١١- دراسات إسلامية [١١] .

---

(١) المجلد ٨ ، ص١٥٠ .

(٢) نفسه ، ص ٦٩٩ .

(٣) نفسه ، ص ٨٠.

(٤) المجلد ٤ ، ص ٢٤٣ .

(٥) المجلد ٢ ، ص ٣٥١ .

(٦) المجلد ٥ ، ص ١٢٠ .

(٧) المجلد ٧ ، ص ١٩٨ ـ ٢٠٠ ، وانظر حديثنا السابق من الجزء الثاني لخصائص التصور الإسلامي بالفصل الثاني من الباب الثاني .

(٨) المجلد ٤ ، ص ١٧ .

(٩) نفسه ، ص ١٨٣ .

(١٠) المجلد ٥ ، ص ١١٨ .

(١١) المجلد ٤ ، ص ٢٤٣ .

obeikandl.com

١٢- تصويبات في الفكر الإسلامي المعاصر [١] .

١٣- في ظلال السيرة [٢] .

١٤- النقد الأدبي : أصوله ومناهجه [٣] .

واعتمد بجانب ذلك من الدراسات الإسلامية [٤] كتب أخيه الأستاذ محمد قطب فأورد منها «الإنسان بين المادية والإسلام» [٥] .

و«التطور والثبات في حياة البشرية» [٦] و«جاهلية القرن العشرين» [٧] و «هل نحن مسلمون» [٨] و«في النفس والمجتمع» [٩] و«منهج الفن الإسلامي» [١٠] و«شبهات حول الإسلام » [١١] و«منهج التربية الإسلامية» [١٢] .

كما اعتمد كتب العلامة الداعية أبي الأعلى المودودي (م عام ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م) منها : «الحجاب» [١٣] و «الربا» [١] و«المصطلحات الأربعة» [٢] و«مبادئ

---

(١) المجلد ٤ ، ص ٥٥٦ ، وهو كتاب كان المؤلف يعد بإخراجه .

(٢) نفسه ، ص ٣٤١ ، وهو كتاب للمؤلف يعتمد عليه ويبدو أنه لم ير النور .

(٣) المجلد ٢ ، ص ٦٧١ .

(٤) تصعب علينا الإشارة ـ على عادتنا في هذه الدراسة ـ إلى بعض الوفيات لعدم وجود مراجع في هذا الشأن يضم المشهور وغير المشهور من الإسلام .

(٥) المجلد ٦ ، ص ١٥ .

(٦) المجلد ٤ ، ص ١٥ .

(٧) نفسه .

(٨) نفسه ، ص ١٨٥ .

(٩) المجلد ٨ ، ص ١٠٠ .

(١٠) المجلد ٤ ، ص ٦٨٢ .

(١١) المجلد ٦ ، ص ١٢ .

(١٢) المجلد ٢ ، ص ١٩٦ .

(١٣) نفسه ، ص ٢٨٠ .

و«مبادئ الإسلام» [٣] و«الإسلام والجاهلية» [٤] و«الأسس الأخلاقية للحركة الإسلامية» [٥] و«تفسير سورة النور» [٦] .

كما اعتمد كتب الداعية الأستاذ أبي حسن الندوي فأورد منها «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين» [٧] وكتب الأستاذ عباس محمد العقاد (م عام ١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٤م) ، فأورد منها ـ مع ردود عليها ـ كتاب «الله» [٨] و«حقائق الإسلام وأباطيل خصومه» [٩] و«عقائد المفكرين في القرن العشرين» [١٠] و«عبقرية المسيح» [١١] .

واعتمد كذلك كتب الشيخ محمد أبي زهرة (م عام ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م) فأورد منها « محاضرات في النصرانية» [١٢] وغير كتب الشيخ أبي الزهرة مثل كتاب «منهج التربية في القرآن» [١٣] للأستاذ محمد شديد ، وكتاب «مع الله» [١٤] للدكتور أحمد زكي وكتاب «الله والعلم الحديث» [١٥] للأستاذ عبد الرزاق نوفل وكتاب «الإسلام

---

(١) المجلد ٢ ، ص ١٣٤ .
(٢) نفسه ، ص ٧٨٧ .
(٣) المجلد ٤ ، ص ٦٨ .
(٤) نفسه ، ص ٣٧٥ .
(٥) المجلد ٣ ، ص ٥٦٣ .
(٦) المجلد ٢ ، ص ٣٥١ .
(٧) المجلد ٨ ، ص ٦٣٦ .
(٨) المجلد ٤ ، ص ٥٥٦ .
(٩) المجلد ٢ ، ص ٢٩٣ .
(١٠) المجلد ٨ ، ص ٢٦١ .
(١١) المجلد ٧ ، ص ٣٤٩ .
(١٢) المجلد ٢ ، ص ٥٨٧ ، ٥٨٨ .
(١٣) نفسه ، ص ٦١٩ .
(١٤) المجلد ٧ ، ص ٨٥ ، ٨٦ .
(١٥) نفسه ، ص ٦٦١ .

obeikandl.com

والنظام العالمي» [١] لمولاي محمد علي ، ترجمة الأستاذ أحمد جودة السحار ، وكتاب «أبو حنيفة» [٢] للأستاذ عبد الحليم الجندي وكتاب «الإسلام والطب» [٣] للدكتور عبد العزيز إسماعيل وكتاب «الإنسان لا يقف وحده» [٤] لرئيس أكاديمية العلوم بنيويورك كريسي موريسون ، ترجمة الأستاذ محمود صالح الفلكي وكتاب «الأسرة والمجتمع» [٥] و «حقوق الإنسان في الإسلام» [٦] للدكتور عبد الواحد وافي ، ومدونة «جوستنيان» [٧] ترجمة الأستاذ عبد العزيز فهمي وكتاب «الشريعة الإسلامية والقانون الدولي العام» [٨] للأستاذ علي منصور وكتاب «الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر» [٩] للدكتور محمد محمد حسين ، وكتاب «التبشير والاستعمار في البلاد العربية» [١٠] للدكتور مصطفى الخالدي والدكتور عمر فروخ وكتاب «الغارة على العالم الإسلامي» [١١] للأستاذ محب الدين الخطيب ، وكتاب «التشريع الجنائي» [١٢] للأستاذ الشهيد عبد القادر عودة ، وكتاب «سيرة الرسول صور مقتبسة من القرآن الكريم» [١٣] للأستاذ محمد عزة دروزة .

---

(١) المجلد ٨ ، ص ٩٦ .

(٢) نفسه ، ص ٤٦٧ .

(٣) المجلد ٥ ، ص ٢٦٠ .

(٤) المجلد ٦ ، ص ٦٨٦ .

(٥) المجلد ٢ ، ص ٢٩٠ .

(٦) نفسه ، ص ٣٥٧ .

(٧) المجلد ٢ ، ص ٣٢١ ، وهي مدونة في الفقه الروماني .

(٨) المجلد ٤ ، ص ١٨٤ .

(٩) نفسه ، ص ١٨٥ .

(١٠) نفسه .

(١١) نفسه .

(١٢) المجلد ٢ ، ص ٧١٨ .

(١٣) المجلد ٨ ، ص ١٠٤ وم بعدها .

obeikandl.com